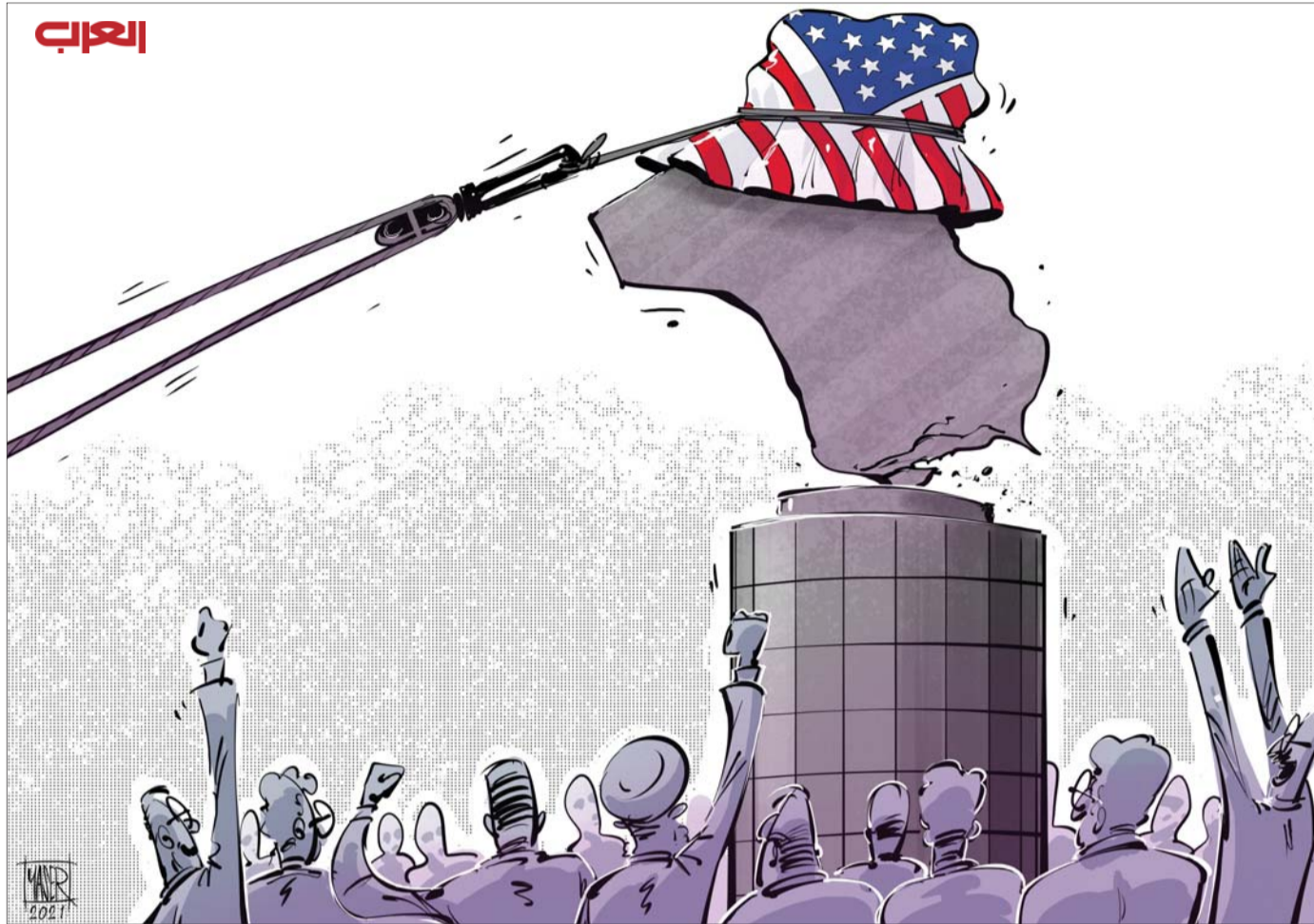


في التاسع من نيسان 2003 مُحيت أمة



تعد متماسكة كما كانت في عصر ما سُمي بـ"الطغيان والقمع والاستبداد والمقابر الجماعية". الأمر لا يتعلق بالدولة التي يمكن أن تكون ورقية. كانت هناك حياة مبيته. هل خان الشعب نفسه أم تم إسقاطه في فخ خيانة مبيته؟

في التاسع من نيسان، قبل ثمانين عشرة سنة أعلن الأميركيون عن إكمال جريمة لا تزال في منأى عن العدالة الدولية. ما رأي الشعب العراقي؟

لقد ارتكب الأميركيون جريمةهم كاملة غير أنهم شعروا بمسرة حين اكتشفوا أن هناك شعبا كان جاهزا للتصاهي مع جريمتهم. كان سوء الحظ قد أظهر الشعب العراقي باعتباره شعبا سيئا. لقد كان هناك شعب سيء. كان ذلك أفسس حكم فرضه الشعب العراقي على نفسه. لعبت المعارضة السابقة وبالأخص اليسارية منها دورا عظيما في تطبيعها. كره العراقيون نظام البعث فكهوا بلادهم. تلك فكرة مجنونة.

كان العراق سيء الحظ بنظامه السياسي الحاكم ومعارض ذلك النظام، بقبائله وأحزابه، بطوائفه وقومياته، باكتريته وأقلياته، باصدقائه وأعدائه، بجيرانه وأقربائه. لقد اشتبك سوء الحظ بعناد أسطوري تميزت به الشخصية العراقية التي غلبت القسوة على كل صفاتها النبيلة. كانت قسوة العراقي على نفسه سببا للعمى الجماعي بحيث كان العراقيون يُخدعون ببسر بالرغم من شعور أبله بالتفوق هو أشبه بجنون العظمة المغطى بالتواضع.

لقد قبل العراقيون بالقسوة التي مورست ضدهم من داخلهم بل أنهم اعتبروها حلا مصيريا.

حين نُستعاد بعض تصرفات حكام الشعب العراقي يمكن ببسر الحكم على أولئك الحكام بالجنون المبالغ فيه. غالبا ما كان حكام العراق مجانين. تلك حقيقة تعرفها الولايات المتحدة من خلال أجهزتها الاستخباراتية ومراكز الدراسات فيها. فهل يُعقل أن تتم معاقبة شعب بأكمله بسبب رئيس مجنون؟ ثم ألم تتعامل الولايات المتحدة نفسها مع كتير من الرؤساء المجانين باحترام ومنحتهم أرقى أنواع الأوسمة؟

ولكن المؤلم أن يوم التاسع من نيسان 2003، وقد كان يوما أسود فيه أكل الأميركيون عملية غزوهم، كان مناسبة لكي يكشف العراقيون كلهم عن جنونهم. كانوا مجانين مثل حكامهم. ما جرى أن العراقيين يومها وهبوا صدام حسين براءة ذمة، فهو ابنهم الذي يشبههم ويمثلهم وكان ضروريا لهم من أجل أن تكون لهم دولة قوية يعترفون ويفخرون بها أمام الآخرين. كان كرم صدام حسين الانتقائي مصدر فخر لهم بالرغم من أنهم كانوا يعيشون في حالة عسر وحرمان وحسرة وفقدان.

حين غزت الولايات المتحدة العراق محتة. حولته من دولة حديدية إلى دولة افتراضية بعد أن ميعته. مُحيت الدولة ففرح الشعب ومارس جنونه علنا، غير أن ذلك الجنون لم يستمر إلا يوما واحدا هو ذلك اليوم الأسود الذي سيكون عليه

فاروق يوسف
كاتب عراقي

حين كلف الرئيس العراقي الراحل صدام حسين رعاية الأغنام في البادية الغربية بان يقوموا باصطفاط طائرات الشبح الأميركية وإسقاطها كان الأولى بالولايات المتحدة أن تلغي خطط الغزو فالجرب المقبلة ستلحق بها عارا أبديا، ليست لأنها غير متكافئة فحسب بل وأيضا لأن الرجل الذي تسعى إلى الإطاحة به وينظامه كان معتوها، مقطوع الصلة بالواقع وليس من الإنسانية أن يذمر بلد وشعب بناء على معلومات كاذبة تتعلق به.

اشتبك سوء الحظ بعناد أسطوري تميزت به الشخصية العراقية التي غلبت القسوة على كل صفاتها النبيلة بحيث كان العراقيون يُخدعون ببسر بالرغم من شعور أبله بالتفوق هو أشبه بجنون العظمة المغطى بالتواضع

وعلى العموم فإن الكونغرس الأميركي كان قد أصدر قبل سنوات من ذلك الحدث الشؤوم قانون تحرير العراق كما لو أن تلك البلاد سيئة الحظ كانت جزءا من الولايات المتحدة، سيغال إن ذلك القانون صدر بضغط من بعض الشخصيات العراقية المعارضة وهو قول بنطوي على الكثير من المبالغة، غير أنه يسلب الضوء على سوء الحظ الذي يمكن رؤيته مجسدا في كل منعطف من منعطف التاريخ السياسي العراقي عبر العقود الجمهورية الماضية.

الهيمنة الإيرانية محنة للعراق والعرب

الدستور العراقي فيما يعد توافقاً مع أجندة إيران، مما يعني أن حكام العراق، بمن فيهم الكاظمي، قد تخلوا عن كل ما هو عربي بمحض إرادتهم ليكون العراق امتدادا لمشروع ولاية الفقيه الذي يعد فضاء الطائفة ديلا عن الوطن، كما يقول الدبلوماسي السابق والكاتب والمحلل السياسي طلال بركات، الذي يرى أنه برغم ذلك فإن وزير خارجية مصر يصف العراق بأنه أحد قلاع العروبة من دون التفريق بين الأمم واليوم، كون العراق اليوم ليس فقط محتلا سياسياً واقتصادياً من إيران وإنما محتلاً ثقافياً وأيديولوجياً لارتباطه عقائدياً بولاية الفقيه التي تقاطع مع فكرة العروبة. يعني ما يقوله بركات أن الكاظمي ليس أسير أجندة الميليشيات الموالية لإيران، وإنما الميليشيات وحكومة الكاظمي منظومة واحدة وهي جزء من المشروع الإيراني المناهض للعرب، لأن الحكومة هي التي تمول الميليشيات بالتجهيزات والمال والسلاح وأن أي دعم لهذه الحكومة يعني دعماً للميليشيات الموالية لإيران، لذلك يفترض قبل الحديث عن احتضان العراق واحكام التعامل الاقتصادي واتفاقيات الربط الكهربائي والأمن القومي أن يتم تحرير العراق أولاً من سطوة إيران وأذرعها، لأنه لن تقوم للعرب قائمة إلا بتحرير العراق من المشروع الإيراني المسكوت عنه أميركياً وعربياً، ذلك المشروع الذي جعل العراق أداة تنفيذ وجسراً لتدمير الأمة العربية. فهل يعقل أن القادة العرب غير مدركين للحالة السياسية التي يعيشها العراق أم أن هناك تغاضياً مقصوداً عن المشهد العراقي من أجل مصالح اقتصادية؟

جميع المحاولات السابقة والاتفاقيات الساعية للتقارب العراقي - العربي فشلت بسبب سيطرة إيران على مؤسسات الدولة العراقية، وقد لمس العراقيون أن أي مشروع اقتصادي في العراق إذا لم يصب في مصلحة إيران يكون مصيره الفشل، ويتعين أن يدرك الجميع استحالة إعادة العراق إلى الحوض العربي قبل تطهيره من هيمنة إيران ومن عملائها وميليشياتها التي تتحكم في البلاد، وينبغي أن تكون هناك خطة عربية لتطهير العراق من الهيمنة الإيرانية.

مزودج فهي تخضع لأوامر القائد العام للقوات المسلحة عندما تقتضي مصلحتها ذلك وتنفذ الأجندة الإيرانية عندما تاتمرها إيران، وقد نشر موقع "ديفينس وان" الأميركي تقريراً أفصح عن مخاوف حقيقية تساور كبار المسؤولين العسكريين الأميركيين من أن تدفع "الميليشيات المارقة" في العراق الدولة إلى حرب أهلية داخلية. ونقل التقرير عن قائد قوات التحالف الدولي في العراق وسوريا الجنرال بول كالفرت قوله "أعتقد أن هناك تهديدين رئيسيين للعراق في الوقت الحالي: الأول هو الميليشيات، والثاني هو الاقتصاد"، معتبراً أن "الميليشيات أدت إلى إحباط صنع القرار الأميركيين والعراقيين، ففي واشنطن تتلخص المشكلة بأن بعض الجماعات المسلحة تتلقى الدعم والتوجيه من طهران من حين إلى آخر، وهو بذلك يشير إلى أنه "برغم أن بعض الميليشيات الرئيسية تتوحد في الأهداف المشتركة مثل إخراج القوات الأميركية من العراق، إلا أنها منقسمة بشأن مسألة النفوذ الإيراني في العراق".

هذه الحقائق تشير إلى أن المخاوف من احتمال قيام حرب أهلية في العراق بعيدة، لكنها ستكون حرباً بين الميليشيات نفسها، وهناك احتمال لدى الكثير من العراقيين أن حرباً ستقوم قبل إجراء الانتخابات المقبلة بين نوري المالكي زعيم حزب الدعوة وبين التيار الصدري الذي يتزعمه رجل الدين السياسي مقتدى الصدر.

هل للقادة العرب مشروع لإعادة العراق إلى الحوض العربي؟ ذلك هو السؤال الذي ينبغي أن يطرح، ففي الوقت الذي يروج فيه إعلام النظام في بغداد أن العرب تخلوا عن العراق فإن المعروف أن من جاءت بهم الولايات المتحدة على ظهور دباباتها لحكم العراق لم يكونوا طلاب عروبة، بل جاءوا محاربين للعروبة لأن أغلبهم من الشعوبيين الذين تمتد جنورهم إلى إيران، بل إنهم إيرانيون أكثر من إيرانيين أنفسهم من حيث الولاء، وأن تخليهم عن العرب كان قبل وصولهم إلى السلطة. ومؤتمراً لندن وصلاح الدين للمعارضة يشهدان على تبني نظام المحاصصة الطائفية الذي ألغى صفة العروبة في

منطقة صناعية مشتركة على الحدود الأردنية العراقية (التي تاخرت بسبب جزر الأقدام العراقية) وإنشاء خط أنابيب لتصدير النفط العراقي من البصرة إلى العقبة.

الجميع يجب أن يدركوا استحالة إعادة العراق إلى الحوض العربي قبل تطهيره من هيمنة إيران التي تتحكم بالبلاد، وأي مشروع إيران سيكون مصيره الفشل

إن أي نجاح لمسعى الكاظمي في تحقيق التقارب العربي مرهون بنجاحه في حصر السلاح بيد الدولة وتخليص الجسد العراقي من الميليشيات وهيئة الحشد الشعبي، التي تعمل بنظام

من هؤلاء الكلام المكرر ولا يرون شيئاً على أرض الواقع زادت حدة رفضهم للنظام وحكومته ما أدى إلى حدوث انتفاضات كبيرة على مدى العامين الماضيين، وهذه المرة جاءت من وسط العراق وجنوبه.

ليس جديداً التقارب العراقي مع الأردن ومصر، إذ سبق أن قام تحالف في نهاية ثمانينات القرن الماضي، إلا أنه انفرط بعد دخول العراق إلى الكويت واستمرت العلاقات العراقية - الأردنية بوتيرة فرضتها عوامل الجغرافيا والتقارب بين القبايل العراقية والأردنية، وبقي للأردن حضوره، حتى بعد احتلال العراق، علماً أن الأردن يتمتع بعلاقات جيدة مع شركائه جميعاً بحكم موقعه الجغرافي، وهذا ضروري للتعاون التجاري والطاقة والبنية التحتية بين الأردن ومصر والعراق، حيث يمكن تأسيس قناة للتجارة عبر سيناء (بما في ذلك ميناء نويبع) والعقبة الأردني إلى العراق، فضلاً عن تكامل الشبكات الكهربائية للدول الثلاث، كما أن عمان تسعى من جهتها إلى تحرير الاتفاقات المتعززة مع العراق، مثل تفعيل

التي انقطعت منذ ثلاثين عاماً بسبب احتلال العراق للكويت، لكن عميد كلية الإعلام في جامعة بغداد سابقاً الدكتور عبدالرزاق الدليمي يرى أن جزءاً من محاولة رئيس الوزراء الجديد للتواصل مع الحلفاء المحتملين هو محاولة تخفيف قبضة إيران على السياسة العراقية، ومنح العراق دوراً وهوية إقليمية أوسع، بالرغم من أن الكاظمي زعم أنه يعمل على إبعاد العراق عن سياسة المحاور، وهذا، كما زعم، في مصلحة الشعب العراقي.

قد يكون منهج التوازن والاعتدال وتعزيز التعاون، وبخاصة في العلاقات الاقتصادية مع الأنظمة العربية، ضماناً لمصلحة العراق، إلا أن هذا التوجه أثار مخاوف نظام طهران وعملائه في العراق الذين مازالوا يمسكون بمعظم روافع السلطة، وعادة ما نسمع من الحكومات الإيرانية الهوى والسلوك التي تفرض على العراق أنها تهتم بتطوير العلاقات التجارية مع الدول في المنطقة وإعادة إعمار البنية التحتية لبلاد النهدين وتوسيعها، والاهتمام بقطاع الكهرباء، وعندما أيقن العراقيون أنهم يسمعون

د. باهرة الشيلخي
كاتبة عراقية

طوى شهر مارس أيامه وارتحل دون أن تتحقق القمة الثلاثية بين العراق ومصر والأردن. تحققت بدلاً عنها قمة على مستوى وزراء الخارجية للبلدان الثلاثة.

الميليشيات الموالية لإيران كانت وراء ذلك، كما يتداول الشارع العراقي، بتعكيرها أجواء القمة والدفع باتجاه إرجائها وفشلها تالياً، فمن المشهورات (البديديات) في لائحة السياسة الخارجية للدولة الإيرانية أنها خططت منذ زمن طويل لتطويق البلدان الأربعة (العراق، سوريا، لبنان، اليمن)، ومحاولة إشغالها في الداخل لتصفية الجبهة المعارضة للنفوذ الإيراني، وعزل هذه الدول، على وجه الخصوص، عن الوطن العربي. ويذكر الجميع أن إيران حاولت، منذ بداية ثورتها 1979، اختراق الجدار المصري ولم تكف عن زرع خلايا تحت غطاء أضرحة آل البيت وما يسمى بـ"تقاية الأضرحة"، وحاولت ذلك مع الأردن من خلال ضريح الصحابي جعفر بن أبي طالب في الكرك، ولكنها لم تفلح بسبب يقظة السياسة الأردنية ورفضها الإغراءات التي قدمتها إيران.

حاولت إيران كذلك إضعاف الجامعة العربية ومؤسساتها لتفكيك العلاقات العربية اللبنانية باصطفاط المجلس الأعلى للصحوة الإسلامية، وطوال السنوات من 2003 حين احتلت الولايات المتحدة وحلفاؤها بلاد الرافدين وحتى سنة 2021 لم يكن من مصلحة ولاية الفقيه، مذهبياً وسياسياً واقتصادياً وإستراتيجياً، إخراج العراق من عزلته، بعبارة أخرى من فك أسرهم من الطوق الإيراني، ورات إيران في أي تقارب عربي عراقي، وإن كان سوريا، دعماً للجبهة الوطنية (انتفاضة الشباب) وإضعافاً لجبهة الولاء السوداء.

قد تكون لدى مصطفى الكاظمي نيات صادقة في تخليص العراق من النفوذ الإيراني عبر ما يسعى إليه من التقارب مع الفضاء العربي من خلال اتفاهة على التعاون المشترك ومد جسور علاقات متينة مع المملكة العربية السعودية،

